حقائق

بقلم

الخطيب علي الشيخ ابراهيم
اسماعيل

الكويت
١٩٦٥

طبع بدار الزمان ـ بغداد ـ عراق

حقائق

بقلم
الخطيب علي الشيخ ابراهيم
اسماعيل

الكويت
١٩٦٥

موقع الأوحد
Awhad.com

طبع بدار الزمان ـ بغداد ـ عراق

بسم الله الرحمن الرحيم

قليلا من التثبت قبل الحكم

وبعد فهذا مقال قصير ، او كلمة عابرة ، وجدت نفسي مكلفا شرعا ، وجوبا لا ندبا واستحبابا ، ان اقولها فاذيعها ، لاكشف بها النقاب عن وجه الحق ، واميط اللثام عن وجه الباطل ايضا ، وابرز كلا الوجهين امام العالم المتدين المتقى المتمسك بقوله تعالى : (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا ..) لئلا تنطلى عليه الامور ، ويأخذ بالموهوم بدل المعلوم .

وهذه الكلمة في حقيقتها توضيح لما عسى ان يكون قد خفى على الاستاذ السيد محمد علي الطباطبائي التبريزي ونظرائه من عقائد الشيخية والشيخ احمد الاحسائي ذاته ، كما يظهر ذلك من مقال للاستاذ الطباطبائي الذي نشر في مجلة «العرفان» الغراء في عددها التاسع الصادر في ذي القعدة من سنة تسع وسبعين وثلاثمائة والف للهجرة .

فهذه الكلمة ان هي الا توضيح ــ كما قلت ــ وتنوير وارشاد فقط وليست برد ، لان الرد قد صدر منذ سنين في كتاب (احقاق الحق) للعلامة الحاج ميرزا موسى الحائري رحمه الله ، وفي كتب اخرى طبعت، لخلفه العلامة الحاج ميرزا علي الحائري . والامل وطيد جدا ان يمثر هذا التوضيح ما اقدر له من نتائج طيبة ، والا فما نملك غيره . وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب .

« المؤلف »

تمهيـــــد

لم نعهد من المؤرخين السابقين الا انهم اذا رادوا ان يؤرخـوا شيئا ، او يترجموا احدا ، اخذوا يسافرون سبسبا سبسبا ، فدفدا ، فدفدا ويتخللون دارا دارا ، حيا حيا ، كي يحققوا التاريخ تحقيقا ، ويرصدوا ما هو الواقع بالقطع واليقين ، حتى يكونوا بمفازة عن الظن والتخمين ولا يكتفون بكل نقل وحكاية ، ولا اي سمع ورواية ، بل يجدون ويجتهدون ، ويسهرون الليالي ويصـلونها بالايام ، ويقطعون الفيافي والقفار ، حتى يكونوا على علم ودراية ، ومن لم يكن منهم من اهل ذلك العلم شد الرحال حتى يدرك اهل الفن ، ويقف على صميم العلم ومصاص الحق ، كل ذلك حرصا منهم على تسجيل ما هو الواقع الحق وحذرا من الاقتحام في مهالك الزور ومزالق الافتراء ، وخوفا من تسجيل الباطل في حق المنزه عنه ، لعدهم ذلك اثما عظيما ، ومنكـرا جسيما ، علما منهم بأنهم مسؤولون عن كل صـغير وكبير اقترفوه ، وخشية ان يكونوا مصيبين لدى اهل النظر والتتبع ، ومنتقـدين عند ذوي الفضل والاطلاع غير

... ولكن في هذا العصر ، انقلب الامر ، فانحرف بعض المؤرخين عن ديدن السلف ، صار يثبت في تاريخه كلما سمع ، ويروى مالم يره ولم يع ، ويصغي الى كل نقل وحكاية ، ويهرج ورواية ، وينقل ما ليس له مدرك ولااساس ، بلا اعتماد على ركن وثيق ، وبلا بحث وتجشـم وتحقيق . بل ذهب البعض الاخر الى ابعد من اخيه ، فدخـل فيما لا يعنيه ، اقحم نفسه اقحاما في علم ليس من فنه ، بلا معرفة منه في مبتداه وخبره ، وترجم رجلا ليس من قرنائه واقرانه ، كما ترى ذلك في المنجد في الملحق منه (معجم لاعلام الشرق والغرب) حيث ذكر في مادة احمد قوله : « الاحسائي (احمد) مؤسس فرقة الشيخية ، وكان من اتباع الفيلسوف الملا صدرا (!!) ومن الشيعة الحلولية (!!) .. الخ» .

تعليق على قول المنجد

سجل المنجد على الشيخ احمد الاحسائي امورا ثلاثة :

١ ــ انه مؤسس فرقة الشيخية .

٢ ــ انه من اتباع الملا صدرا .

٣ ــ انه من الشيعة الحلولية .

وفي جميع النقاط اخطأ الصواب وانحرف عن سبيل الحق كل الانحراف فضل واضل .

الحقيقة كنت اود ان اتجافى التعليق بشيء على كلام المنجد ، والوقوف عليه والنظر فيه ، لان المنجد كما هو معروف عنه ، لا ينجد في الموضوع الاساسي من مواضيعه ، وهو اللغة العربية ، فضلا عن المواضيع التي اقحم فيها نفسه اقحاما ، دون مبرر ولا مسوغ الا العمل على ترويج نفسه في المكاتب التجارية .. بيد أني اضطر الى ذلك اضطرارا حين ارى ان كاتبا مسلما هو الاستاذ الطباطبائي يعتمد على رواية المنجد ، وهو يكتب في مجلة مسلمة هي مجلة « العرفان » الغراء ، في معرض الكلام على علم مسلم هو الشيخ احمد الاحسائي . لهذا السبب فقط اجدني مضطرا الى تنبيهه لاخطاء المنجد بحق هذا الرجل ، لئلا يقعوا في ذات الاخطاء التي وقع فيها الاستاذ الطباطبائي .

اولا ــ قال : « انه مؤسس فرقة الشيخية » . لا يخفى على ذي حجى انه انما يقال مؤسس لرجل ابتدع طريقة واخترع مذهبا ودعا الناس اليه، كنبينا محمد صلى الله عليه وآله الذي اسس دين الاسلام بأمر من الله عز وجل ، فأبطل اهواء السابقين من المشركين وعبدة الاصنام ، ونسخ الشرائع التي سبقت شريعته ، وندب كافة البشر الى الدين الجديد « ان الدين عند الله الاسلام فمن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » فلمثله (ص) يقال مؤسس . وأما من نبغ في علم او فن ، او في عدة

علوم او فنون ، وصار له اتباع انتسبوا اليه حقيقة ، لاعتقادهم بسلامة آرائه ، او اتخذوا انتماءهم اليه زلفى الى مقاصد باطلة ، ووسيلة الى مآرب سخيفة ، فلا يقال له مؤسس . الا ترى لا يقال لمحمد بن الحنفية مؤسس مذهب الكيسانية ، ولا يقال لاسماعيل بن جعفر (ع) مؤسس طريقة الاسماعيلية . ان كلا منهما لم يبتدع مذهبا ، ولم يدع اليه احد ، بل صارت له فرقة انقادت اليه حقا او باطلا ، وانتسبت اليه دون ان يكون له في هذا الانتماء رأي في قليل ولا كثير .

ومثل هذا يقال في الشيخ الاحسائي ، انه ما ادعى لنفسه مقاما ولا دعا احدا الى طريقة ، لانه ما اتى بمذهب جديد ، ولا اخترع طريقة خاصة ، راجع كتاب « احقاق الحق » المار الذكر ، وكتاب (دليل المتحيرين) للعلامة السيد كاظم الرشتي رحمه الله ، وكتاب (عقيدة الشيعة) للعلامة الحاج ميرزا الحائري .

نعم .. كلما يمكن ان يقال عن الشيخ الاحسائي ، انه عالم امتاز من بين اعلام عصره بكثير من العلوم وطول باعه وتفوقه فيها ، حتى ارتفع له صيت عظيم ، وسار ذكره في جميع الاقطار ، وقلده كثير من الايرانيين وغيرهم ، وعلى رأسهم فتح علي شاه ملك ايران حينذاك ، وكافة اولاده واحفاده ووزرائه وكبار رجال دولته ، وقد سجل الدكتور ميرزا مهدي خان في تاريخه : ان ربع ايران خالصا كانوا من مقلديه والتابعين له !!! لهذا كان له اعظم نصيب من التبجيل والتقدير لدى علماء ايران والعراق وعلماء الهند وقفقاس .

هذا كله يقال في معرض الدفاع عن الشيخ الاحسائي فقط ، وأما اذا رمنا ان ندافع عن المنتحلين اليه فانا نقول : انهم هم كذلك ، لم يقروا لانفسهم طريقة خاصة تميزهم عن الشيعة الامامية ، ولا ادعوا ان شيخهم اخترع مذهبا جديدا ، او ابتدع نحلة خاصة ، بل كل ما يمكن ان يقال عنهم : انهم مالوا الى آراء فلسفية معدودة لشيخهم ، باعتبارها

آراء معقولة في نظرهم ، ومنطقية ، وموافقة للكتاب والسنة واجماع الامة موافقة تامة .

واما نسبة الشيخية اليهم ، فانما جاءت من خصومهم فيما بعد ، ليجعلوهم فرقة مناهضة للاصولية ، راجع كتاب (دليل المتحيرين) المار الذكر ، تطلع على التاريخ الصحيح .

ثانيا : قال المنجد : (انه من تباع الملا صدرا) هذه نسبة اضحكت كل علماء الشيعة وفضلاءهم من الموجودين في هذا العصر ، لعلمهم الذي لا يختلف فيه اثنان ، ان الشيخ الاحسائي من الرادين على الملا صدرا اعنف الرد ، وممن شدد النكير عليه في توحيده وبغض معتقداته الاخرى بل هو اول المنكرين عليه ، والرادين قوله ، والناقدين فلسفته ، ومما صنف في هذا الشأن ، كتاباه : شرح العرشية ، وشرح المشاعر . وهذا اشهر من : « قفانبك ... » واوضح من الشمس في رائعة النهار .

ثالثا : قال : (انه من الشيعة الحلولية) . وهذا ايضا واضح البطلان لمن له عينان كسابقيه ، فان الحلولية هم الذين قالوا : انه تبارك وتقدس حل في شخص محمد (ص) او على (ع) او في ذات احد البشر، وهو شيء لم يفه به الشيخ الاحسائي قط ، ولم يجربه له قلم ابدا ، دونك شرح الفوائد وشرح العرشية وشرح المشاعر وشرح الزيارة وجوامع الكلم بجزئيه ، دونك هذه الكتب وسائر كتبه المشهورات المعروفات لدى كافة علماء الشيعة وفضلائهم بل وبعض عوامهم ايضا ، وطالعها صفحة صفحة ، وتصفحها ورقة ورقة ، وقلبها ظهرا لبطن ، وبطنا لظهر ، بل دونك كتب تلاميذه ايضا ، وتلاميذ تلاميذه كذلك ، وافعل بها فعلك في كتبه نفسه ، فهل تجد في واحد منها تصريحا او اشارة او تلميحا عن الحلول او ما يمت الى الحلول بصلة ؟؟ بل على العكس تجدها مليئة بأمثال هذه العبارات : (لم يحل في شيء ، ولم يحل فيه شيء ولم يخرج من شيء ، ولم يخرج منه شيء ، ولم يلد

من شيء ، ولم يولد منه شيء ولا في شيء ، ولا من شيء ، ولا على شيء ... الخ) افهذه الكلمات تدل على الحلول ؟؟؟؟ انما ضده .. وفي معرض الرد عليه وتزييفه وتكفير قائله وتسخيفه .

بيد ان المنجد لم يشأ ان يأخذ تاريخه من كتب الرجل نفسه ، او المطلعين عليه ، ولم يشأ ان يعرف الرجل من منطقه ، بل من منطق خصومه الجاهلين به فوقع في افحش الاخطاء ، وكم كان جميلا بالمنجد لو جنب نفسه وقراءه السطحيين هذه الضلالات بالانقطاع الى اللغة العربية ، موضوع اختصاصه فحسب ، ولكن لا ضير في ذلك عسى ان يكون من باب قوله تعالى : (عسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ، وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم) ام عسى ان يكون من باب قول الشاعر :

واذا اراد الله نشر فضيلة ط ويت اتاح لها لسان حسود

تبين لنا مما تقدم ان المنجد لم يصب شيئا من الواقع اذ نمى الى الشيخ الاحسائي تهمه الثلاث وهي : انه مؤسس فرقة الشيخية ، وانه من اتباع الملا صدرا ، وانه من الشيعة الحلولية .

والاستاذ الطباطبائي لم يكتف بالنقل عن المنجد ، ذلك النقل الذي شوه به اسم التاريخ والمؤرخين ، بل ارتمى في خطل آخر ، لايقل شناعة وفضاعة عن سابقه ، اذ نقل عبارة للاستاذ السيد عبدالرزاق الحسنى الذي اطلق عليه لقب (المؤرخ الكبير) من كتابه (البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم) وهي : (ان فكرة الشيخية وليدة الفكرة الباطنية التي نشأت في القرن الثاني للهجرة وهي الاساس لها ، وليست الفكرة الباطنية وليدة تعاليم الاسلام .. الخ) .

التعليق على كلام الاستاذ الحسني

قبل كل شيء اود أن انبه الى نتيجة تلوح بوضوح على قـــول الاستاذ الحسني ، وهي ان تعاليم الشيخية ليست من تعاليم الاســلام في شيء . فالشيخية انفسهم اذن ليسوا من المسلمين في شيء . هــذه هي النتيجة التي تقفز الى الاذهان عند قراءة العبارة ، ولست اود ان اعلق عليها بشيء ، ففي ميسور القارىء ان يتبين بنفسه بطلانها .

وحسبي ان اوضح معنى الباطنية التي ظهـــرت في القرن الثاني الهجري لنتبين ان تقع منها الشيخية . ان الباطنية هم اولئك الذين ركنوا الى بواطن الاعمال ، واهملوا ظواهرها . فتركوا الصلاة الظاهرية اكتفاءا منهم بالصلاة الباطنية وهي ولاية محمد (ص) واهل بيته (ع) . وكذلك فعلوا بالصيام والحج والزكاة وبقية الفرائض وسائر العبادات.

حقا ان هذه الفكرة ليست وليدة تعاليم الاسلام ، لانه كما في الخبر : (ليس بمؤمن من عمل بالظاهر وترك الباطن ، وليس بمؤمن من عمل بالباطن وترك الظاهر ..!) ولكن اين الشيخيــة التي ظهرت في القرن الهجري الثاني عشر من هؤلاء ؟؟ واين اقوالهم من هذه الاقوال ؟؟ ان الفرق بينهما كبعد ما بين السماء والارض . الشيخية يعملون بالظاهر والباطن على السواء ، وهم اهل الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الفرائض والسنن الواردة في الاسلام ، شأنهم في ذلك شـــأن سائر المسلمين العاملين بفرائض الدين .

نحن نأخذ على الاستاذ الحسني هذه السذاجة الفضيعة في تاريخه للواقع ، تلك السذاجة التي كان من نتائجها ان نحل الشيخيـــة الى الباطنية ، دون أن يتحقق عن مفهوم الباطنية ، والاساس الذي عليــه يرتكز جوهر الفكرة .

والظاهر رأى أن الشيخية في كتبهم توغل في تفســـير الآيات

فيجرهم
والروايات ايضا لا يجرهم ــ احيانا ــ الى تفسير الباطن بعد تفسير الظاهر فحسب ان هذه هي الباطنية ، فنسب الشيخية اليهم ، وفاته الفارق الاكبر ، وهو : ان الباطنية يهملون الظواهر كليا على حين ان الشيخية تتمسك بها كليا كسائر المسلمين .

ونحن اذا كنا نأخذ على الاستاذ الحسني هذه السطحية كمؤرخ فانا نأخذ نفس الشيء وبلهجة اشد على الاستاذ الطباطبائي كمحقق وباحث علمي ، لان تبعة الباحث هي تماما كمسؤولية المؤرخ ، لان كلا منهما عليه ان يتجرد من عواطفه وميوله ، ليعرض الى العالم بحثا اقرب الى الحق منه الى الباطن . لهذا ننقل الكلام الى التعليق على قول الاستاذ الطباطبائي .

التعليق على كلام الاستاذ الطباطبائي

عندما روى الاستاذ الطباطبائي عن المنجد الفقرة الخامسة بترجمة الشيخ الاحسائي وجدها خنجرا ذا حدين ، يطعن بحد منه في الشيخ الاحسائي حيث يقول : انه من الشيعة الحلولية ، ويطعن بحده الاخر في العلامة الملا صدرا الشيرازي حين يقول : ان الشيخ الاحسائي من اتباع الملا الشيرازي الامر الذي ينج منه ان الملا الشيرازي هو الاخر .. يتنج حلولي ، فراح يخفف من القذف الضمني الموجه الى الملا الشيرازي على حين يشدد النكير على الشيخ الاحسائي ويقذفه باتهامات اخرى ، لذلك سيكون لتعليقنا وجهان ، تنقد باحدهما مدحه للملا الشيرازي ، وننقد بالآخر قدحه للشيخ الاحسائي .

قال الاستاذ الطباطبائي : (ان آراء الفيلسوف ملا صدرا على وفق الظواهر في الشريعة الاسلامية والعقائد الضرورية ، وهو من اكبر علماء الامامية .) اما كونه رحمه الله من اكبر علماء الامامية فلا نقاش لنا فيه لانه صحيح ، واضف على ذلك : انه من العلماء الذين لهم اكبر الفضل في نشر المعارف الآلهية وجر الطلاب الى جانب لم يعهدوه من جوانب المعرفة ، وهو الفلسفة الآلهية ، بعد أن كان جل بضاعتهم لا يعد وقليلا او كثيرا من الفقه واصوله وبعض فروع اللغة العربية . فهو اذن ليس من اكبر علماء الامامية فحسب ، بل ومن اكثرهم بلاءا في نشر الفضيلة والعرفان ، فليست لدينا اية مؤاخذة على هذه الفقرة ، وانما نؤاخذه على قوله : (إن آراء الفيلسوف ملا صدرا على وفق الظواهر في الشريعة الاسلامية ... الخ)

حقا ظهر الاستاذ الطباطبائي في دفاعه هذا عن العلامة الشيرازي رجلا طيب السريرة جدا ، غير ان طيب السريرة اذا بلغ حدا يصير معه العلم جهلا والحق باطلا والواقع خيالا ، انقلب شر الاخير فيه . ان

العلم لايداهن احدا ولا يداجي في شيء ، بعنف بمن يستحق العنف ، ولو كان هو العلامة الشيرازي ، ويرفق بمن يستحق الرفق ولو كان هو العلامة الاحسائي فلا ينكر على الشيخ الاحسائي لانه الشيخ الاحسائي ، ولا يؤيد الملا الشيرازي لانه الملا الشيرازي ، انما يخالف او يؤالف بمقدار قرب الشخص او بعده من الحقيقة والواقع فقط .

لا نريد الآن أن نقحم انفسنا في بحوث كلامية عميقة قد تورط بها تورطا نحن عنه اغنياء ، ولاسيما وأن الشيخ الاحسائي قد تعرض لآراء الملا الشيرازي في كتابيه : شرح العرشية ، وشرح المشاعر خاصة. وقد تناول بالنقد والتمحيص والحساب العسير جميع آرائه الفلسفية ، فحكم لبعضها وحكم على بعضها الآخر ، فما عسى أن نأتي بجديد بعد ذلك ان نحن ولجنا في جدل فلسفي عميق ؟؟ ولكن لا بأس ان نشير الى بعض آرائه الفلسفية التي لا يتخالف العلماء في نسبتها اليه والتي تبين بسهولة مخالفتها لظواهر الشريعة الاسلامية .

١ ــ فمن تلك الآراء قوله (بوحدة الوجود) يعني ان الوجود يطلق على الواجب وعلى سائر الموجودات بالتشكيك ، أي أن الواجب هو الوجود البحت والوجود الصرف البسيط ، وسائر الموجودات وجودات مشوبة بالماهيات فاذا ارتفعت الماهيات رجعت الموجودات الى اصلها . من الوجود الصرف البسيط . كالمداد والحروف اذا عدمت الحروف عادت الى اصلها المداد ، او كالبحر والامواج اذا سكنت الامواج عادت بحرا ، او كالماء والثلج اذا ذاب الثلج صار ماءا ، وقد قال قائلهم :

وما الخلق في التمثال الا كثلجة وانت لها الماء الذي هو نابع
ولكن يذوب الثلج يرفع حكمه ويوضع حكم الماء والامر واقع

واضح ان هذا القول ليس من التوحيد الخالص في شيء لانه يشرك الخلق مع ذات الخالق في مادة الوجود ، ولما كان الاسلام دين

توحيد تام صحيح، فليس يتفق هذا الرأي وظواهر الشريعة الاسلامية.

٢ ــ ومنها قوله (بسيط الحقيقة كالعقل وما فوقه ، كل الاشياء .. وأن الاشياء موجودة في ذاته تعالى بنحو اشرف .. وبأن معطى الشيء ليس بفاقد له في ذاته ... الخ) الاشياء لو كانت موجودة في ذاته كما يقول للزم ان تكون الذات المقدسة ظرفا للحوادث ، والتوحيد الاسلامي الخالص ينفي نفيا باتا ان تكون الذات ظرفا او مظروف الشيء ، ولا يبدل من الامر شيئا القول بأن الاشياء كامنة في ذاته بنحو اشرف .. لان الاشياء موجودة فيها على كل حال ، سواءا كانت بنحو اشرف ام بنحو اخس .

كما ان القول بان معطى الشيء ليس بفاقد له في ذاته يستلزم أن تلفظ الذات المقدسة على الدوام الموجودات وارزاقها ، والله تعالى يصف نفسه بأنه احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا احد !! فأي الوصفين اصح يا ترى ؟؟ الوصف الذى اتى به العلامة الشيرازي ام الوصف الذي ارشدنا اليه القرآن الكريم ؟؟ فليتفضل الاستاذ الطباطبائي بالاجابة ، وليكن حينئذ طيب السريرة الى اقصى الحدود .

٣ ــ ومنها قوله : (إن اهل النار يكون مآلهم الى النعيم، وانما يعذب الكفار واهل المعاصي في جهنم بقدر ما استغرق كفرهم وعصيانهم من وقت في الدنيا ، فاذا انقضى ذلك المقدار من الوقت انقلب العذاب لهم عذبا واستأنسوا بالنار ، ولو خرجوا منها تألموا ، كالخنفس يستأنس بالعذرة ... الخ)

وهذا مخالف لظواهر الشريعة الاسلامية والعقائد الضرورية بالبداهة ، بشهادة علماء الاسلام كافة ، وفقهاء الشيعة منهم خاصة لقوله تعالى : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) دون ان يقيد ذلك بوقت او يحدده بزمان .

ولا اخال الاستاذ الطباطبائي ينكر هذه البديهة ، مهما يكن طيب السريرة صافي النية ، حسن الضمير ،،،

فثبت لنا مما تقدم ان تبرع الاستاذ الطباطبائي بالحكم لصالح العلامة الشيرازي بأن آراءه الفلسفية كلها على وفق ظواهر الشريعة الاسلامية شيء تافه ولم يحالفه فيه التوفيق .

هذا هو الوجه الاول من وجهي تعليقنا على قول الاستاذ الطباطبائي ، تقدنا به بعض آراء الفيلسوف الشيرازي . وقبل أن اتحول الى الوجه الثاني من وجهي التعليق عليّ أن اوضح شيئا هو غاية في الاهمية في تقديري ، خشية ان يختلط الامر على احد ، وهو إنا لا نرمي بهذا الكلام العلامة الشيرازي بالكفر ، بل نقول انه بحث واجتهاد في البحث ، وكان رائده في ذلك الحق دوما ولكنه لم يوفق اليه بسبب من الاسباب ، ولو قدر له ان يعاصر العلامة الاحسائي مثلا، لكان يرجى له ان يميل اليه قليلا او كثيرا . وعلى كل حال انه مأجور فيما ابلى به من صبر وعناء في سبيل العلم والعرفان . او معذور

يجدر بنا الآن أن ننتقل الى الوجه الثاني من التعليق ، محاولين فيه ان نقف بعض الشيء على قدح الاستاذ الطباطبائي في الشيخ الاحسائي . انه قدح على كل حال وليس بنقد ، وان كان قدحه من النوع الانيق المهذب .

قال الاستاذ الطباطبائي : (واما الاحسائي فله آراء خاصة وكثير منها مجهولة ومطرودة ، وكلها خالية من البرهان العلمي ، وتمسك بالآحاد ، وجلّ آرائه اشبه بالشبح ، ويظهر من شرحه بل رده على كتاب عرشية ملا صدرا .. انه لم يكن عارفا بالعلوم العقلية على النحو التام ، وتدخل في العلوم التي لم يكن ماهرا ومتخصصا فيها ... الخ)

فاما قوله : (واما الاحسائي فله آراء خاصة ... الخ) فنحن لا ندري ماذا يقصد بقوله : (اراء خاصة) لعله يريد به أنه يثبت لله علمين : قديما وحديثا ، وانه يثبت للائمة (ع) العلم الاحاطي ، او ما اشيع عنه ــ خطأ ــ من انه ينكر المعاد الجسماني والمعراج وشق القمر ... الخ او لعله يريد ان له طريقة خاصة في البحث الفلسفي ،

تفرض عليه آراء فرعية خاصة يتوصل عن طريقها الى ما انفق عليه العلماء المسلمون من عقائد فيقرها كما اقروها، ويؤمن بها كما آمنوا بها.

فان كان الاول هو الذى يريد فانا نحيله على كتب الشيخ الاحسائي اولا ــ وكتب تلاميذه ثانيا ، وكتب العلامة الحاج ميرزا علي الحايرى ثالثا ، وكتاب (نقد وايقاظ) للاستاذ الشيخ صالح الحايرى وما كتب بهذا الصدد الاستاذ الشيخ عبدالرسول الحايرى اخيرا. ففي بعضها ما يكفي ليثبت له أن آراء الشيخ الاحسائي ماهي الا اراء الشيعة الامامية ، وان عقائده هي عقائدهم تماما بلا ادنى فرق ابدا . واذا رام الاختصار في الوقت مع توفر الراحة الى سعة الاطلاع الى الالمام بالموضوع من جميع جوانبه ، فما عليه الا ان يقتني نسخة من (احقاق الحق) للعلامة الحاج ميرزا موسى الحايرى رحمه الله ، فهو كتاب يعنى عناية فائقة بتوضيح مصطلحات الشيخ الاحسائي الفلسفية، فشرح آراءه التي حامت حولها تشكيكات الخصوم .

وان كان يريد الثاني فنحن نقره ، على ان للشيخ الاحسائي آراءا خاصة ولكن لا نقره بحال على قوله : (واكثرها مجهولة ومطرودة وكلها خالية من البرهان العلمي ... الخ) لان دعواه اولا هي الاخرى مجهولة ومطرودة وخالية من البرهان العلمي ، ولان الشيخ الاحسائي ثانيا لا يكتفى ــ عادة ــ بنوع واحد من الادلة ، بل يجمع غالبا بين الادلة الثلاثة : الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي احسن، لقوله تعالى : (وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن .) ونحن لا نملك لاقناع الاستاذ الطباطبائي الا أن ندعوه مرة اخرى لاعادة النظر في كتب الشيخ الاحسائي ، عسى ان يتبين فيها هذه المرة اقوى البراهين العلمية حجة ، واكثرها وضوحا واشدها اطرادا في الحكم .

ومن الغريب حقا ان ينكر الاستاذ الطباطبائي على الشيخ الاحسائي تمسكه بالآحاد ، في الوقت الذى يتمسك بها علماء الاسلام

كافة في الغالبية الساحقة من احكام الشريعة الاسلامية • ليت شعري أي مانع من التمسك بالآحاد اذا لم تخالف الكتاب والسنة ، وساعده العقل المستنير ؟؟ وهل هناك غنى عن الآحاد ، وهل لعامة مسائل الفقه الا الآحاد ؟؟ والا لتعطلت الاحكام ومسائل الحلال والحرام •

واغرب من ذلك قوله : (ان الشيخ الاحسائي لم يكن عارفا بالعلوم العقلية على النحو التام !!!) إنا نسائل الاستاذ الطباطبائي ايمكن لرجل أن يؤسس اسلوبا لم يسبق اليه في البحث الفلسفي ، وهو لا يجيد الفلسفة والعلوم العقلية ؟؟ ام هل يمكن لعالم ان يتطاول الى شرح اعقد كتابين عقليين ، المشاعر والعرشية • للعلامة الشيرازي وهو غير ماهر في موضوعيهما ؟؟ ان القول بذلك من مهازل التاريخ وسخرية البحث العلمي •

إن المرء عندما ينقب في شرحي المشاعر والعرشية لا يلاحظ في الشيخ الاحسائي الا عمقا في المعرفة ، وثقوبا في الذهن ، وجودة في السليقة ولكن يلاحظ في الوقت نفسه أن له مذهبا خاصا في التوصل الى النتائج الفلسفية انه لا يكتفي بما يتوصل اليه عن طريق العقل فقط ، لانه يرى أن العقل اذا لم يسترشد بالنقل تنكب الطريق السوى، كما لا يكتفي كذلك بما يحصل عليه من النقل فحسب ، لانه يرى أن النقل اذا ترك بمفرده لا يستطيع الوقوف على قدميه طويلا ، فهو لا يكتفي بهذا وحده ، ولا بذاك وحده وانما يعمل جاهدا على ان يطابق بينهما مطابقة تامة •

ان المتتبع لطريقة بحث الشيخ الاحسائي في كتابيه (شرح العرشية وشرح المشاعر) لابد ان يلاحظ بوضوح انه يبدأ اولا بشرح لنظرية العلامة الشيرازي ، موسع ، حسب مدى غموض النظرية ودقتهما ثم يشرع في نقل ما يتيسر له من الآيات والروايات ذات العلاقة بجوهر النظرية ثم يقارن بين النظرية العقلية ، ومفاد الآيات والروايات المنقولة، ولابد حينئذ ان يخرج باحدى نتيجتين : اما التطابق ، او التناقض ،

فان كان الثاني استطرد في دحض النظرية بطريقة النقض والابرام ، والنقيض وعكس النقيض ، ثم يسترسل في سرد نظريته التي يراها موافقة لمفهوم النقل ثم يتوسع بعدئذ في ذكر البراهين العقلية والحجج المنطقية التي تدعم دعواه .

هذه الملاحظة تبدو جد واضحة للمرء حين يمعن النظر في كتابيه المذكورين آنفا ، ولا اعرف كيف دقت هذه الملاحظة على الاستاذ الطباطبائي .. انني لا املك لاقناع الاستاذ الا أن ادعوه ثالثة الى امعان النظر في كتب الشيخ الاحسائي ، خاصة كتابيه : شرح العرشية وشرح المشاعر .

واذا كان الاستاذ الطباطبائي ممن يعسر عليه امعان النظر متجردا عن العواطف والميول فاني احيله على كتاب (دليل المتحيرين) للعلامة الرشتي الذي لازم الشيخ الاحسائي ، سفرا وحضرا ودرس عليه ، ففي هذا الكتاب سوف يرى ان الشيخ الاحسائي لم يكن بارعا في العلوم العقلية وكفى وحتى في الفقه واصوله والحكمة والهيئة والنجوم والجفر والرمل والاعداد والكيمياء ومعظم العلوم التي كانت معروفة في ذلك الوقت .

واذا كان الاستاذ الطباطبائي لا يثق بالسيد كاظم الرشتي لانه السيد كاظم الرشتي فاني اضع بغبطة بين يديه كتاب (روضات الجنات) للعلامة المترجم الكبير ميرزا محمد باقر الخوانساري ، ففيه نلفت انظارنا ، وهو يترجم للشيخ الاحسائي هذه الفقرة : (ومن جملة حاملي اسرار امير المؤمنين ، ترجمان الحكماء المتألهين ، ولسان العرفاء المتكلمين، غرة الدهر ، وفيلسوف العصر ، العالم بأسرار المباني والمعاني ، شيخنا احمد بن الشيخ زين الدين بن الشيخ ابراهيم الاحسائي ، الذي لم يعهد في هذه الارض مثله في المعرفة والفهم والمكرمة والحزم ، وجودة السليقة ، وحسن الطريقة ، وصفاء الحقيقة ، وكثرة المعنوية والعلم بالعربية ، والاخلاق السنية ، والشيم المرضية ، والعلمية والعملية ،

والفصاحة ولطف التقرير والملاحة ، وخلوص المحبة والوداد لاهل بيت الرسول الامجاد ..) فشتان ما بين العلامة الخونساري والاستاذ الطباطبائي !!!!

اكتفى بهذا القدر من التعليق على كلام الاستاذ الطباطبائي معتقدا انه يحقق لي الغرض الذي من اجله كتبت هذا المقال . وقبل ان انتقل الى الموضوع الاخر والاخير من مقالى هذا ، اود ان اشكر ـ بحرارة ـ الاستاذ الطباطبائي اسلوبه هذا ، المطبوع بطابع الاناقة والتهذيب والتادب ، حين تكلم عن الشيخ الاحسائي فهو اول اسلوب من نوعه يكتب به القادحون فيه ، ولكن اناقة لهجته لا تمنعنا من القول بانها خلو من الادلة والبراهين العلمية ، وانها مجهولة ومطرودة كما ثبت مما تقدم .

تنبيـــــه

اما الموضوع الآخر والاخير الذي اردت تبيانه ، فهو ان الاستاذ براون في كتابه (عقيدة الشيعية) ذكر عن الشيخية امورا خبط فيهـا خبط عشواء ونحن في هذا المختصر لا نريد ان تتطرق الى نقض اقواله، لان ذلك يستدعي كتابا ضخما مع وجود ما فيه الكفاية مما الف في هذا الشأن ، والذي مر ذكر بعضه آنفا .. ولكن لابد ان نتبه على الجديد من اخطائه وكفى .

اولا ــ خلق علاقة في الرأي بين البابية والبهائية من جهـة وبين الشيخية من جهة اخرى ، مع العلم ان امام البابية السيد علي خان قتل في ايران بتحريض وامر من علماء الشيخية في تبريز .

ثانيا ــ قال : ان العلامة السيد كاظم الرشتي جعـل يبث تعاليم الشيخية . ان تعبير غير موفق وغير دقيق ، لان الشيخية ليسـت لهم تعاليم ، فتعاليمهم هي تعاليم الشيعة الامامية تماما ، انما السيـد كاظم الرشتي تولى مهمة الدفاع عن الشيخية بعد الشيخ الاحسائي ، ودحض التهم الموجهة ضدهم ، وكشف المحاولات الباطلة لجعلهم فرقة مخاضمـة للاصولية ، ولو قال الاستاذ براون : ان السيد كاظم الرشتي جعل يدافع عن الشيخية لاصاب الحقيقة احسن اصابة .

ثالثا ــ قال : ان السيد كاظم الرشتي نشأ في اردبيل ، وهو انمـا ولد ونشأ في رشت من منطقة قيلان ، لا في اردبيل .

وخلاصة القول ان الاستاذ براون هو الاخر الذي لم يوفـق لتشخيص الواقع عن الشيخية والشيخ الاحسائي وتلاميذه . انني انبه الكتاب الى هذه الحقيقة لئلا تكرر على ايديهم مأساة النقل من المنجـد كما فعل الاستاذ الطباطبائي .

وبعد .. فالله اسأل ان يوفقنا للسداد في الرأي والبلاغة في اللسان، والسلامة في النية ، والخلوص في العمل ، انه يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ؟ ..

علي ابراهيم اسماعيل

اواخر ربيع

الكويت

١٣٨٠ هـ

كان هذا الكراس قد ارسل الى دار العرفان عـــام ٦٠ ومن المؤسف صادف وفاة صاحب العرفان وقد تأخر هذا الكراس .

انتهى الطبع بتاريخ ١٢ ــ ٧ ــ ١٩٦٥